الفصل الثاني

I- الأخلاق في الديانة اليهودية:

يعود العهد القديم إلى أزمنة مختلفة قيمتها غير متشابهة، ويحمل في طياته مفاهيم تنم عن قسوة المؤمنين به كقوله"افتقد ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضي إلى الوصايا العشرة التي سيأتي ذكرها. والتي تحرم فيها الكثير من الأفعال غير المرغوبة فيها كالسرقة والكذب والحسد وفيه الصدمة العالة كالسن بالسن والعين بالعين بالإضافة إلى الأمل المسياني، مجيء المسيح المنتظر"[1].

ومنه نستطيع أن نقول أن هذه الشريعة جاءت لتنظيم الجماعة لتصبح مكانا صالحا لسكن الإنسان فلا يقتل إنسان بلا قصاص، ولا يعتدي إنسان على إنسان بلا عقاب، وإذا أهان الإنسان إنسانا فيجب أن يقتص منه مهما كانت أسباب الإهانة، فقد نصت شريعة موسى عليه السلام على أن العين بالعين والسن بالسن كما سبق ذكره.

وإن ما ترتب على ظهور الديانة اليهودية، هو أن الإنسان أصبح لا شأن له بالبحث عن القواعد الأخلاقية محاولة وضعها وصياغتها، ولهذا جاءت شريعة موسى عليه السلام شاملة لبعض المبادئ التي تعطي لفرد قيمته، غير أن ذلك التحول عن العقائد الوثنية والقواعد الأخلاقية لم يتم في سهولة وفي وقت وجيز وقد كان عسيرا تحويل الناس عن معتقداتهم الوثنية من ناحية وإقناعهم بقبول شريعة السماء من ناحية أخرى ليس في مجال الأخلاق فحسب بل في جوانب الحياة الإنسانية، حيث أن الشريعة تقول أن الفرد من صنع الله، وحياته أغلى شيء لديه، وهي مرتبطة بحياة الجماعة، فيجب على المحافظة عليها ورعايتها وصرفها فيما يعود على الجماعة بالخير والرفاهية، و وقايتهـــا من الشرور، والإتحاد عماد الحياة الاجتماعية[2].

ولقد وردت في الديانة اليهودية عشر وصايا وكلها تتعلق بالأخلاق وتتمثل هذه الوصايا في:

1 - لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

2- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

3- لا تقتل.

4 -لا تزن.

---

(1)– هدى علي جواد الشمري و سعدون محمود الساموس، النظام الأخلاقي والتربية الإسلامية، ط1، دار وائل للنشر، الأردن،2006، ص40.

(2)– حسين عبد الحميد و أحمد رشوان،مرجع سابق ، ص81. وانظر إلى حسين الشرقاوي، الأخلاقية الإسلامية، ب ط ، د ت، ص346– 347.

5- لا تسرق.

6- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

7- لا تشتهي امرأة قريبك ولا غيره ولا أمته ولا ثروته ولا حماه ولا شيئا مما لقريبك.

8- من ضرب إنسان فمات يقتل قتلا.

9- ومن سرق إنسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا.

10- ومن شتم أباه وأمه يقتل.

فلا نجد في هذه الأحكام القوية روح المسالمة والسعي إلى السكينة اللتين سادتا العديد من المبادئ الخلقية في الفلسفة اليونانية القديمة خاصة لدى سقراط و الرواقيين، كما عرفت الإنسانية معنى الحرمة والتحريم وانتهى عهد الإباحية وانطلاق الغرائز والشهوات وطلب اللذات يعني ضوابط أو قيود، وظهرت فكرة الخطيئة التي تدنس المخطئ ويمكن التكفير عنها بالهبات والقرابين.

على أن يلاحظ أن اليهودية لم تقضي على نظام الرق ظل قائما في ظلها فأباحت الثورات الإسترقاق بطريقة الشراء، أو سبب الحرب وجعلت للعبري أذا افتقد فيبع الفقير نفسه للغني، كما أباحت أن يقدم المدين نفسه لدائن حتى يوفى له الثمن ويظل عبدا لديه لمدة ست سنوات يتحرر بعدها في العام السابع، وأباحت الثورات للعبري أن يبيع بنته فتكون أمة للعبري الذي يشتريها[1].

ونلمس العزوف عن نصائح الزهد التي شاعت في ثنايا الأخلاق اليونانية فيما جاءت به الديانة اليهودية مثل: ثروة الغني مدينته الحصينة ومثل: سور عال في تصوره، على أن الشريعة اليهودية لم تقتصر على ترك الزهد والتسامح فحسب بل أنها أخذت [2] بمبدأ الثار المتشدد، فالعين بالعين والسن بالسن وإذا كانت قد دعت إلى حب الأصدقاء فقد دعت إلى بعض الأعداء.

وقد ارتبطت اليهودية التلمودية بالربا و البغاء في أوروبا خلال الفترة إلى الثورة الفرنسية، وارتبطت صورة اليهودي بشخصية المرابي عبر التاريخ وهي الصورة التي خلدها شكسبير في شخصية سلوك في مسرحية تاجر البندقية وكان

---

(1)– خالد الزواوي،سماحة الأديان والسلام العالمي، ط1، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر2004، ص31– 32.

(2)– هدى علي جواد الشمري و سعدون محمود الساموس، مرجع سابق، ص 41–42.

اليهود يتقاضون فوائد باهظة تراوحت من 32.5% إلى 22%، وقد تفشت بين اليهود الإباحية والرذيلة في العالم، وفتح باب الزنا على مصارعيه، وأعلنت الماسونية أن الأسرة ليست من طبيعة المجتمع، وأن عري الجسم حرية له وصحة وسعادة، وعلى الأبناء أن ينبذوا سلطة الوالدين[1].

إن اكبر ما يستلفت النظر هو النص على أن العمل السيئ لا يقتصر أثره والجزاء عليه على فاعله فحسب بل أن الخبراء يتعداه إلى ذريته كذلك ففي نصوص التوراة: حرمت عليكـــم الأصنام والتماثيل وتصـــويرها في السمـــاء أو الأرض أو في قاع البحر، لا تعبدوا شيئا منهما ولا تقيموا الشعائر لها لأن الرب إلهكم الإله القوي الغيور الذي يتأثر من الآباء العصاة يأخذ بجريرتهم أبناءهم وأحفادهم إلى الجيل الثالث والرابع حيث أنهم بغضوه بالمعصية، ويمنح الغفران لمن أحبوه وحافظ على فروضه وبسببهم يمنح هذا الغفران لأبنائهم وأحفادهم بل إلى ألف جيـــل من ذريتهم، ويمكننا بعدما أسلفناه أن نجعل النظرية الأخلاقية اليهودية ما يلي:

أولا: أصبحت الأخلاق ذات مصدر سماوي وأن الله تعالى هو الذي يقرر ما يكون خيرا وما يعد شرا وبذلك أفسحت أفكار النظريات الأخلاقية الوضعية المجال للمبادئ الدينية لتحل محلها.

ثانيا: كما أنه أصبح أمام البشر نظامان أخلاقيان: النظام اليهودي السماوي والنظام الإغريقي اللاتيني الوضعي وقد نشب بينهما الخلاف في أول الأمر ثم عمل رجال الدين والمفكرون على المزج بينهما بعد ذلك.

ثالثا: اتسمت القواعد الأخلاقية اليهودية بالتباين الكبير بالنسبة للنظريات الأخلاقية سواء فيما يتعلق بنظرية القيم الخلقية، أو بالأهداف والوسائل التي تؤدي إليها أو بأساليب السلوك العامة[2].

وقد نظمت الشريعة اليهودية العلاقات الزوجية، إذا سمحت الديانة اليهودية القديمة بالسماح للرجل بالزواج من أختين، ومن أمثلة ذلك زواج يعقوب من الأختين لنيا وراحيل ابنتي لابان، ثم حرمت الشريعة اليهودية ذلك فيما بعد ففي سفر التثنية نجد أن الديانة اليهودية قد حرمت الزواج بين الأقارب:

1- الزواج من امرأة الأب.

2- زواج الرجل من أخته بنت أبيه وبنت أمه.

3- زواج الرجل من حماته.

---

(1)– أنور الجندي، المخططات التلمودية "اليهودية الصهيونية"، ب ط، دار هومة للنشر، د ت، ص45– 47.

(2)– هدى علي جواد الشمري و سعدون محمود الساموس، مرجع سابق، ص42– 43.

4- الزواج من ابنة الابن وابنة البنت.

5- الزواج من العمة أو الخالة.

6- الزواج من امرأة العم.

7- الزواج من امرأة الأخ.

8- الزواج من امرأة وابنتها.

9- الزواج من أختين معا.

ومما يلفت النظر أن الديانة اليهودية لم تحدد الزواج الأب من ابنته ولم تنص على تحريم النكاح بين أفراد أكثر قرابة من الذين سبق ذكرهم ويتمثل في زواج إبراهيم من أخته، وزواج يعقوب بأختين وفي عصر داوود كثر الزواج بين الإخوة والأخوات في الأسر المالكة، وقد نص سفر اشعيا على أنه إذا اقترنـــت المطلقة برجل أخر ثم توفي هذا الزوج أو طلقت منه لا يحق لزوجها الأول إعادتها إلى عصمته[1].

فقد فرقت الشريعة اليهودية بين الرجل والمرأة، أي بين الجسد (المرأة) وروح (الرجل)، وما يفعله الرجل من أعمال لا أخلاقية في ملة إسرائيل إلى المرأة، فقد جاء في سفر التكوين (الفصل: 3 الفقرة 13): فقال آدم المرأة التي جعلتها معيني هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت[2].

وقد عانت المرأة في ملة إسرائيل من الذل والهوان والتحقير، فكانوا يضعونها في مرتبة الخادم، وكان يجوز لأبيها حق بيع إبنته القاصر و من دون مرتبة أخيها وليس لها حق الميراث إذا كان لها أخوة ذكور (الإصحاح 21 سفر التكوين) وحين تحرم من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، وإذا كان الأب ترك عقارا فيعطيها من العقار، أما إذا ترك مالا منقولا فلا شيء لها من النفقة والمهر، وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر، لم يجزأ لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها[3].

---

(1)– حسين عبد الحميد و أحمد رشوان، مرجع سابق، ص83.

(2)– محمد متولي الشعراوي، المرآة في القرآن الكريم، ب ط ، دار المعرفة للنشر، د ت، ص10. أنظر إلى محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، دار المعرفة الجامعية، ب ط ،كلية الأدب، جامعة الإسكندرية، د ت ، ص232– 233.

(3)– عصام المرستاني ومحمد الحسناوي، عالم المرأة وهموم المرأة المعاصرة، ب ط، دار الفكر الغربي، ص11.

وكانت المرأة وهي في المحيض نجسة في البيت، فكل ما تلمسه من الطعام أو كساء أو حيوان ينجس وإذا ولدت المرأة في الشريعة اليهودية تبقى سبعة أيام غير طاهرة، ثم تمكث لاستكمال طهارتها ثلاثة وثلاثون يوما بعد الولادة ويحظر عليها دخول المعابد مدة أربعين يوما، وإذا وضعت الأم أنثى فيلزمها ضعف المدة[1].

II .نماذج من أخلاقيات اليهود:

II. 1 – غرور اليهود بأفضليتهم على البشر:

في التعاليم اليهودية نجد الزعيم القائل: أن بني إسرائيل هم (الشعب المختار) و هذه الفكرة مع ما تحمل من مس لكرامة الشعوب الأخرى فإنها تشجع معتنقيها على العدوان واستغلال الغير والاستهانة بالمعاصي والآثام إتكالا على هذا التفضيل، وإن المطلع على القرآن الكريم يلمح فيه إشارة إلى هذا التفضيل، وليصحح مفهومه لديه، يقول تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين، واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾.[2]

إن تفضيل بني إسرائيل الذي قصده القرآن ما كان تفضيلهم على المؤمنين العاملين بشريعة الله بل كان تفضيلهم على نشر طاغية في الوجود أل وهو فرعون وحاشية، وما فضلهم رب العالمين عليه إلا أنهم كانوا مظلومين وكان هو الظالم. كما ذكر القرآن في كلامه عن بني إسرائيل ﴿ونريد أن نمن عىى الذين استضعفوا في الأرض﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ﴾[4] وما كان تفضيل القرآن تفضيلا شخصيا لدواتهم أو لجنسهم وإنما يفضل الله قوما على قوم حسب أعمالهم، لذا بعد أن يأتي التفضيل في صدر الآية يعود في الشطر الثاني من الآية فيحذرهم أن يغروا بهذا التفضيل لأن كل نفس ستجرى بعملها قال الله تعالى: ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقتل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾[5].

---

(1)– السيد محمد عاشور، مركز المرأة في الشريعة اليهودية، ط1، دار الكتب العلمية ، ص21– 22.

(2)– القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 47–48.

(3)– القرءان الكريم، سورة القصص، الآية 5.

(4)– القرءان الكريم، سورة الأعراف، الآية 137.

(5)– القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 48.

II. 2- أماني اليهود بمغفرة الله:

وقد رسخ في وهم اليهود أن الخلاص والنجاة هي عملية جماعية لا فردية وأن الانتساب إلى ذرية إبراهيم يضمن لصاحبه الخلاص الأبدي، وهذه العقيدة ظلت تلازمهم وتنظم سيرهم في مختلف أطوار التاريخ وجعلتهم أشد الشعوب استغراقا في الانحرافات الخلقية وإنغماسا في المنكرات، فكان ذلك داعيا إلى اضطهادهم من جميع الشعوب التي جاورها، وهذه الفكرة تعرض لها القرآن الكريم ورد عليه بقوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلق من بعدهم خلق ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الحق ودرسوا، ما فيه والدار الآخرة لخير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾[1].

والمعنى: فرقنا اليهود في الأرض جماعات منهم الصالحون ومنهم غير الصالحين، وقد اختبرناهم بالنعم والنقم رجاء أن يعود المذنبون منهم عن ذنوبهم ثم خلف من بعد هؤلاء قوم ورثوا التوراة ولكنهم لم يعملوا بها بل أخذوا متاع الدنيا بوسائل غير مشروعة وقالوا سيغفر الله لنا ما فعلنا ثم وبخهم الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ما هو عليه فقال إن أخدنا عليهم العهد في التوراة وقد درسوا ما فيها أن يقولوا الحق وأن الدار الآخرة للذين يتقون المعاصي أفلا يعقلون بأنهم نعيم الآخرة خير من متاع الدنيا.

II. 3- جبن اليهود:

وصف القرآن اليهود بالجبن، والجبن من صفاه الغدر والخيانة ليعوض بذلك ما ينقصه من شجاعة، فجبن اليهود سبب تعلقهم الشديد بهذه الحياة ولو كانت حقيرة ذليلة جاء في كتاب الحرب على السامين (...إن الثواب الوحيد الذي كان البررة الصلاح من آل إسرائيل يرجونه هو أن يجود الله عليهم بحياة طويلة باسمة الأفراح...) وكان اليهودي يرى أن نهاية الوجود بنهاية الحياة، وهذا فقد وصفهم القرآن بالجبن والاعتداء على الأنبيـــاء، قـــال تعـــالى: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآو بغضب من الله بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[2].

---

(1)- القرءان الكريم ، سورة الأعراف، الآية 168-169.

(2)- القرءان الكريم ، سورة البقرة، الآية 21.

والمعنى أن الله أوجب عليهم الهوان أين ما وجدوا إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وأنهم استجوبوا غضب الله كما أوجب عليهم الاستكانة والخضوع لغيرهم[1].

وذلك بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء الذي يمكن أن يكون بحق بل هو عصيان منهم وإعتداء.

II. 4- غدرهم وإجرامهم:

لم ينس العرب تلك الإهانة والطعنة التي أصيبوا بها في حرب فلسطين فعلى يدي جماعة باغية مجرمة من اليهود الصهيونيين تعرضوا لكل أنواع الاعتداء والغدر والقتل الجماعي في سبيل إجلائهم عن أوطانهم ولا تنال دماء ضحايا مذبحة دير ياسين وبيت دراس التي أخضلت بها أرض الوطن السلبي اكبر شاهد على قداحة يعني الصهيونيين وإجرامهم وما اقترفوا فيهما من قتل الرجال والولدان والنساء والعرب والتمثيل بهم لصورة تقشعر لها الأبدان.

والقرآن يصفهم بالإجرام حتى أنهم قتلوا رسل الله: ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾[2].

كما أن القرآن يصفهم بالغدر أيضا بقوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾[3].

II. 5- يفسدون في الأرض:

من الأهداف المرسومة عند اليهود الصهيونيين تفويض الأخلاق عند الغير لإضعافه والسيطرة ومن الرائع أن القرآن سبق أن قرر هذه الحقيقة منهم خمسة عشرة قرنا حيث جاء في قوله تعالى عن اليهود ﴿ويبتغون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون، لولا ينهاهم الربا يتون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[5].

---

(2) – هدى علي جواد الشمسري و سعدون محمود الساموس، مرجع سابق، ص44– 45.

(2) – القرءان الكريم ،سورة المائدة: الآية 70.

(3) – القرءان الكريم ،سورة البقرة: الآية 100.

(4) –القرءان الكريم ، سورة المائدة: الآية 24.

(5) – القرءان الكريم ،سورة المائدة: الآية 22–23. * الأحبار: جمع حبر وهو العالم والرجل الصالح وهو يطلق على من درس الشريعة اليهودية وتقدر فيها وأتقن الأحكام وقضى بين الناس.

والمعنى: وترى أيها الرسل كثيرا من هؤلاء اليهود يسارعون في المعاصي والاعتداء على غيرهم وفي أكل المال الحرام كالرشوة والربا وبئس ما يفعلون من هذه القبائح، أما كان ينبغي أن ينهاهم علماؤهم وأئمتهم عن قول الإثم كالكذب وكل منكر قبيح كالغيبة والنميمة والطعن في الغير.

وأكل المال الحرام فبئس ما كان يصنع علماؤهم بهذه المعاصي وترك نصحهم وعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ومن أخلاقهم أيضا كذبهم وادعائهم الديمقراطية والسلام، فهم يكذبون الكذبة ويصدقونها و يدافعون عن صدقها المزيف منذ وعد إبراهيم في أرض فلسطين الذيـــن كان وعـــدا مزعوما وحتى اليـــوم قـــال تعـــالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾[1]، ويقول الله تعالى فيهم: ﴿فيما يفضهم ميثاقهم لعلناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾[2].

ومن فضائحهم استخدامهم للنساء للتأثير على ذوي السلطة والجاه لتحقيق أغراضهم الدنيوية والمادية، ومن الأهداف المرسومة كما أشرنا سابقا سعي اليهود لتفويض الأخلاق عند الغير لإضعافه والسيطرة عليه، وهذا ما صرحت به سياستهم في كتاب (بروتوكول حكماء صهيون).[3]

وهذا ما اعترف به "أدلف هتلر" إذا قال: «فمنذ أن وضع اليهود والبلاشفه نصب أعينهم تفويض صرح الدولة الألمانية، كيفما اتجهت وأن وجدت، ورأينا عرش الإباحية والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرابع والحانات وحتى في الساحات العامة...وكيف يرجى من شبيه هذا شانها أن تهب للدودي عن الوطن وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده».

فما ذكره القرآن ينطبق على الصهيونيين اليهود اليوم أشد الانطباق فهم لا يتورعون عن الآثام وإفساد الغير بشت الطرق للسيطرة عليه، وهم معتدون سلكوا جميع وسائل المكر والخداع في سبيل إخراج الفلسطينيين العرب من ديارهم، وهم يصلون إلى مآربهم بالرشوة فهم يرشون الدول الكبرى والحكام ووكالات الأنباء والصحف لمساعدتهم في تحقيق أهدافهم وأطماعهم ومنه على ضوء هذه الحقائق نجد ونحن ننتظر في أخلاق الشعب العربي وما النخوة

---

(1) – القرءان الكريم ، سورة الكهف، الآية 5.

(2) – القرءان الكريم ، سورة المائدة، الآية 13.

(3) – جاء في بروتوكول حكماء صهيون الذي وضعوا فيه مخططاتهم السرية (... إن الشباب قد انتابه العته في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات التي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف).

والشرف فنلمس النتيجة المؤلمة: إن ما يعانيه الشعب العربي اليوم هو ثمرة المخططات الصهيونيين لإضعافهم والسيطرة وعليهم، فليكن زعماؤهم ومصلحوهم على بينة من هذا الخطر قبل أن يستفحل ولتحذر الشعوب العربية هذا الوباء الخفي الذي بدأ يتسرب إلى مجتمعاتهم ويهددهم بالإنحلال والخسران[1].

II. 6- إشعالهم الحروب وبث التفرقة:

هذه الانقلابات المتوالية على بعض حكومات البلاد العربية، وهذا الصراع الذي يثار من أن لآخر بين أبناء الشعب العربي الواحد وبين حكوماتهم يحتاج إلى تفسير وتعليل مقبول والإشكال المطروح هذا:

هل الشعوب العربية لم تصل بعد إلى حد النضوج السياسي في تكوين وحدتهم أو أن ذلك يوجع إلى تحريض من جهات غربية تسعى للإيقاع بهم لإضعافهم والإضرار بهم من الناحية المادية والسياسية؟

في كلتا الحالتين لها خط من الواقع في تكيف الأمة العربية، فالفرقة التي تضعف بالشعوب العربية يرجع سببها الصهيونيين معروفة في كل زمن، لهذا اعترف "أدلف هتلر" بأنهم أشعلوا نيران الحرب العالمية، ويذروا في داخل الريح بذور الثورة الحمراء واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالا بارعا...

كما اعترف أيضا بأن الصراع الذي احتم في ألمانيا بين الكاثوليك والبروتستت هو من فعلهم، فقال: «... ولكن اليهودي اشتم رائحة الخطر وبادر إلى تنظيم الدفاع عن نفسه معتمدا على تكتيكه التقليدي فقد أثار إحدى القضايا المذهبية في ثلاث صحف مأجورة ووقف يتفرج على الحبل الديني العقيم بين الكاثوليك والبروتستت وعلى ما يترتب على هذا الحبل من انقسام...»

ويقول: «... ولأجل تحويل غضب السواد عنه عمل على بذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد فحرض بافاريا على بروسيا، وهذه على تلك وقعت كلتاهما في الشرك...»

ويقول أيضا: «... رأينا اليهود يدخلون أنوفهم في قضايا العالم الكبرى وكان لهم يد في كل ثورة ذات طابع انقلابي...»

---

(1)- عفيف عبد الفتاح طبارة، اليهود في القرآن، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، د ت ، ص 46-47.

ملاحظة: نحن إذا ما أكثرنا من الاستشهاد بأقوال هتلر فما ذلك إلا تصوير واقع اليهود الصهيونيين بما ينطبق على ما وصفوهم به القرآن لا إعجابا باضطهاده اليهود وقتل عشرات الآلاف منهم بلا تميز بين البريء والمسيء فإن العدالة الإلهية وشريعة القرآن تستنكر ذلك، لأنها استلبت لإنسانية حرمتها مهما كان لونها ومذهبها ولأن البريء لا يؤخذ بجريرة الظالم.

ومن المدهش أن القرآن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشرة قرنا في قوله تعالى: ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أصطفها الله، ويسعون في الأرض فسادا﴾[1].

فمن صفاتهم التي ذكرها القرآن إثارة الحروب والفتن بين الجماعات وليس من صفة أقبح ولا أشنع من تلك، فهي تدل على نفوس متغلغلة في الشر وسخط عام على البشرية للانتقام منها بإشعال الحروب فيما بينها وإثارة الانقلابات لمنفعة ذاتية يصلون إليها من وراء ذلك.

فالقرآن يقرر أنهم كلما أشعلوا نارا للحرب خذلهم الله في مسعاهم وارتد كيدهم على أنفسهم فغلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قد وهو في الماضي في محاولاتهم لحرب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتأليب المشركين عليه لم ينالوا بل هزموا ونصر الله رسوله عليهم وخذلهم في كيدهم.

II. 7- يزاولون السحر:

هل السحر من اختصاص اليهود، وهل يؤدي إلى الكفر؟ نعم هذا ما تحدث عنه القرآن وهذا ما برز عندهم في القرون الوسطى مما يسجل للقرآن فتحا علميا واقعيا كسائر فتحاته في أي شان من شؤون الحياة الحاضرة والمستقبلية.

«ففي خاتمة القرون الوسطى اجتاحت المجتمعات الأوروبية دعوة منظمة وثورة واسعة النطاق على سلطة الكنيسة وتعالين النصرانية، تقوم هذه الدعوة على عبادة الشيطان ومزاولة السحر... وتفويض النظم الاجتماعية من أساسها».

وقد ذهب بعض الباحثون مثل "ديشميس" إلى أن هذه الدعوة ترجع إلى تعاليم الكابالا السرية في التعاليم العبرية في أمور الخفاء ومدارك الغيب فقد أسس علامة اليهود "لوريا" المدرسة الكابالية الحديثة في ايطاليا في منتصف القرن السادس عشر، وصبغت تعاليمه بقالب عملي للاتصال بعالم الغيب وكتابة الطلاسيم وشعوذة الأرقام والحروف، ولهذا يقول "فولتير" كاتب فرنسي: «كان اليهود هم الذين يلتجأ إليهم عادة في تأدية الشؤون السحرية، وهذا الوهم القديم يرجع إلى أسرار الكابالا التي تزعم اليهود أنهم وحدهم يملكون أسرارها».

وفكرة التوسل إلى الشياطين فكرة يهودية في الأصل بل هي من تقاليد اليهود ومعتقداتهم وقد ورد في التلمود*: «إذا استطاعت العين أن تبصر الشياطين التي لعمر الكون كله كانت الحياة ضربا من المستحيل ذلك لأن الشياطين

---

[1]-القرءان الكريم ، سورة المائدة، الآية 64.

أكثر منا عددا وهم يحيطون بنا من كل صوب ولكل منا على يساره ألف شيطان وعلى يمينه عشرة آلاف. ويعدد التلمود فوق ذلك الطرق التي يستطيع بها الإنسان أن يبصر الشياطين وغيرها من ضروب الوهم » والسحر هو عمل في الأكثر للتأثير في الأرواح كي تقوم بأداء ما يطلب منها... ويصحب هذا العمل كلام مفهوم وإشارات يدعي الساحر أنه إنما يقوم به وبإشارات لتسخير الأرواح[1].

وقد صنف "ابن خلدون" السحر أصنافا ثلاثة: السحر بالمعنى المفهوم عند الفلاسفة وهو التأثير بالهمة من غير آلة ولا معين، والطلسمات، وهي التأثير بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعـــداد، والشعبذة أو الشعوذة، وتكون بالتأثير في القوى المتخيلة والتصرف فيها يقود نفس الساحر المؤثرة حتى يرى الرائي شيئا في الخارج وليس هناك شيء[2].

وقد كان أكثر السحر من يهود وكانوا يساندون علمهم المزعوم إلى بابل وقد جاء في القرآن عن اليهود والسحر قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما قتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بها بين المرء وزوجته وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وبئس ما أشاروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[3]

فاليهود اتبعوا ما تتلوا أي ما نقص وقيل: تختلف (الشياطين) المراد بها شياطين الإنس وهم العصاة والأشرار من الناس على ملك سليمان وما كفر سليمان هذا إلا بسبب معرفته السحر لتلك الأقاصيص المختلفة والتي تزعم انه ما نال الملك سليمان إلا بسبب معرفته السحر وانه جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه ثم أستخرجها الناس وتناقلوها وانه ارتد في أخر عمره و عبد الأصنام، وبنا لها المعابد، فرد عليهم القرآن بأنه لم يكفر كما يدعون ولكن (الشياطين كفروا) أي هؤلاء الفجرة الذين يعلمون الناس السحر هم الذين كفروا لأنهم يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، فهم يعلمون الناس السحر من عندهم ومن آثار ما جاء عن مدينة بابل في العراق يعلمان الناس السحر، وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء ففي الله عنهما الإنزال من عنده بقوله: ﴿ما أنزل﴾ ومعنى دوما يعلمان من احد حتى يقولا له إنما نحن فتنة فلا تكفر، أي نحن أولو فتنة

---

(1)– عفيف عبد الفتاح طبارة، مرجع سابق، ص49–50.

*** هو كتاب العقائدي الذي يضم الديانة اليهودية.**

(2)– القرءان الكريم ، سورة البقرة، الآية 102.

نبلوك ونختبرك وننصح لكا لا تكفر بتعاطيك السحر فالمفهوم القرآني هو أن السحر يؤدي إلى الكفر، ويؤدي هذا ما جاء في القرآن من قبل ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، فالسحر يؤدي إلى الكفر لأنه يصرف عن عبادة الله وحده وعلى السيد بمقتضى شريعته والأسباب الطبيعية التي سنها الله، سينما السحر يجعلهم يلتجئون إلى عند الله من شياطين وغيرها، ويسلكون الطرق الشريرة أو المشوهة بالخداع للوصول إلى غرضهم[1].

ومن أخلاقهم أيضا كذبهم وادعائهم الديمقراطية والسلام فهم يكذبون الكذبة ويصدقونها ويدافعون عن صدقها المزيف منـــذ وعـــد إبراهيـــم في ارض فلسطـــين الذي كان وعدا مزعوما وحتى اليـــوم قال تعـــالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾[1]، ومن الأمثلة المعاصرة على المجازر التي قاموا بها ضد الشعب الفلسطيني، مذبحة دير ياسين 10 ابريل 1948 حيث بدأ الهجوم والأطفال نيام في أحضان أمهاتهم وآبائهم وهناك مذبحة مخيمي صبرا وشتيلا لبنان 16-18 سبتمبر 1982، مذبحة المسجد الأقصى 18 أكتوبر 1990 حيث تم إحراق المسجد الأقصى بتاريخ 1969/07/21، حيث قامت بقطع المياه من منطقة الحرم فور ظهور الحريق وحاولوا منع المواطنين العرب من الاقتراب، وللتعريف أيضا ببعض أخلاق اليهود على سبيل المثال لا حصر، نورّد المعاني التالية:

أولا: نقضهم المواثيق والعهود قبل أن يجف الحبر الذي كتبت به وهذا ما نراه يوميا ﴿أو كلمه عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾[2].

ثانيا: تحريف الكلام إذا اشتهر اليهود بتغيير الكلام الله وتعريفه ليحولوا دون إيمان الناس وإتباع الرسول الكريم فغيروا صفات النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضيعه﴾[3].

ومن يقرأ القرآن يجد نعمة الله التي أنعمها على بني إسرائيل وتفضيله لهم على عالم زمانهم وكيف أنجاهم من آل فرعون، وكم من معجزة رأوها بأم أعينهم ومع ذلك اتخذوا العجل لها وزادت وقاحتهم أن طلبوا من سيدنا موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فأرسل الله عليهم نارا من السماء.

---

(3)–القرءان الكريم، سورة الكهف، الآية 5.

(1)–القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 100.

(2)–القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 75.

ثالثا: المجادلة والتستر على الجرائم: جميعنا يعرف قصة البقرة ومحاولتهم المراوغة لعدم إظهار القاتل الذي تم التستر عليه ولكن الله ظاهر الحق ولم يدع لهم مجالا للهروب وإظهار الحق.

رابعا: الاستكبار والاستعلاء: طالما شعر اليهودي أنه مالك للقوة وعناصرها فإنه لا يعطي حق ولو كان صغيرا لا يملأ النقير الصغير الذي لا يتسع لذرة تراب. ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾[1].

كما يمكننا أيضا أن نتطرق إلى بعض التعاليم اليهودية والتي نذكرها باختصار ومن بينها:

أ– هل نفس غير اليهود بدون حق:

يقول "التلمود" «أقتل عبدة الأوثان ولو كانوا من أكثر الناس كمالا » ويعتبر التلمود الخارج عن دين اليهود مثل الحيوان لا يستحق الرأفة لان غضب الله موجه إليه وانه لا يلزم أن نأخذ اليهود شفقة عليه.

ويعود التلمود مرة أخرى ويقول: «أقتل الصالح من عير الاسرائليين» فإذا قصد يهودي قتل حيوان، فقتل شخصا بالخطأ، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهوديا فخطيئته مغفورة، وقال التلمود أنه يجوز قتل من ينكر وجود الله، ويقول أيضا: من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل الحاضر لأ نّ من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله.

ومن تعاليمهم أيضا قتل كل من خرج عن دينهم، وخصوصا الناصرين لان قتلهم من الأعمال التي يتكافأ عليها الله، وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فمن الواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم، لذلك جاء: «أن من يقتل مسيحيا أو أجنبيا أو ثنيا يكافئ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السرايا الرابعة، أما من قتل يهوديا فكأنه قتل العالم اجمع، ومن تسبب بخلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا كلها» وهنا يظهر الاستهتار بحياة غير اليهودي بحجة أنه من الحيوانات التي يحل قتلها، وأن الله، وأن الله "حاشى له" يكافئ اليهود على قتله الأجنبي ويكافئه بالخلود للجنة.

ب– الربا والغش والسرقة:

يجوز لليهودي حسب التلمود أن يعش الكافر لأنه يلزم أن يكون طاهرا مع الطاهرين و دنسا مع المدنسين ويبيح التلمود لليهودي أن يكون مؤدبا مع الكافر، ويدعى محبته إذا خاف وصول الأذى منه إليه، وأن اليهودي إذا قابل أجنبيا ووجه له السلام فلابد أن يهزا منه في سره.

---

[1]–القرءان الكريم ، سورة النساء، الآية 53.

وعلى اليهودي أن يجتهد في غش الأجنبي، شرط ألا يكشف أنه يغش وذلك حتى لا يضر بالدين في عيون الأجانب، أما فيما بينهم فلا غش ولا خداع وجاء في التلمود: «أن الله لا يغفر ذنب يهودي يرد لأجنبي ماله المفقود، وإذا هرب أحد اليهود من دفع دين يطالبه به الأجنبي، وأبلغ أحد اليهود عن مكان زميله الهارب فيلزم على المبلغ أن يدفع لليهودي المبلغ عنه قيمة الضرر الذي لحقه من ذلك البلاغ، أما الرب فقد جاء أن موسى قد سمح بطلب الفائدة القانونية من غير اليهودي وهذا معناه أن طالب الفائدة يجب عليه أن يقرض الشيء سليما ويغير هذا الشرط لا يجوز له طلب ذلك»[1].

ج– تحقير المرأة:

قال موسى عليه السلام: ﴿لا تشته امرأة قريبك، ومن يزني بامرأة قريبة يستحق الموت﴾.

ولكن التلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط، وهم يقولون بأن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي، لأن المرأة التي ليس من بني إسرائيل كالبهيمة والعقد لا يصح مع البهائم، وأن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات وكل ما جاء في التلمود أن الصلوات العلنية في المجامع اليهودية تستدعي حضور عشرة رجال لأن تسعة رجال ومليونا من النساء لا تؤلف محفلا واحدا فيكون عندئذ حضور المرأة ناقصا، لأن المرأة لا تعد شيئا[2].

د– الرياء:

يقول بيشاي: "إن الرياء مسموح"

وأن الرجل اليهودي يمكنه أن يظهر مظهر المذهب تجاه الشرير ويستطيع أن يقول له أنا احبك إذا كان خائفا منه ووجه ذلك ضربة لازمة ويجوز لليهودي أن يسلم على غير اليهودي قائلا "إلهك معك أو ألهتك تبارك لك" لأن إله المسيحيين لا يمكنه أن يضع شيئا من ذلك لعباده، بل هم بأقوالهم هم يستهزؤون باطنا بالنصارى ويعود مرضهم ويدفن موتاهم كما يعلم التلمود فهو يفعل ذلك حبا للسلام وخوفا من إثارة غضبهم.

---

(1)– هدى على جواد الشمري و سعدون محمود الساموس، مرجع سابق، ص49–50– 51.

(2)– محمد البيومي مهران، بني إسرائيل،ب ط،د ت، ص 233– 234. انظر إلى محمد بيومي مهران: النبوة والأنبياء عند بني إسرائيل، ط1 ، الإسكندرية، 1978، ص71– 77.

وأخيرا نقول انه كان من عادة الرباني "شاهاتا" المتمسك بالدين تمسكا قويا أن يسلم على غير اليهود قائلا: السلام معك، إنما كان يوجه نيته إلى أستاذه وليس إلى غير اليهودي[1].

II .– الأخلاق في الديانة المسيحية:

تعتبر المسيحية امتدادا للفكر اليهودي في الفترة الأولى لظهورها ويتسم العهد الجديد بنوع من التشاؤم النسبي كاهتمامه بالخطيئة الأصلية واحتقار الاهواد والحب الشهواني واحتقار الذكاء المتكبر والخلاص الغير ممكن إلا باللطف الإلهي لا بالأعمال الأرضية[2] ولكن هذا لم يمنع المسيحية من انتهاج طريقة التسامح والعفو، وجعلت القلب بديلا للعقل، والنية الطبية بديلا للعدل الظاهري، والخير أساس الأخلاق والفضيلة، يقول سيدنا عيسى عليه السلام «أحبوا أعدائكم، وباركوا من ينعلكم، واعملوا الخير لمن يبغضكم، وصلوا لمن يسيئكم أو يغدر بكم»[3].

وقد جاءت المسيحية بفكرة المساواة بين الأفراد، فليس هناك أغنياء وفقراء وسادة وعبيد وأحرار وأرثاء.

ويمتزج التفاؤل والتشاؤم في الأخلاقية التي قادت العالم المسيحي عشرين قرنا، حيث تقوم الأخلاق على الإخاء والإحسان وعلى المغفرة التي يجب ألا تقودون الطوائف والحدود، و بدأت النصرانية إلى الاندماج في الله كالممارسة الدائمة للإحسان وبذل النفس للغير والكمال الروحي في التأمل في الله، ولكن ظهرت بوادر الأخلاق تزامتية مبنية على الخشية والأخلاق الصارمة التي لا تعرف التساهل.

وأهم ما تتميز به القواعد الخلقية في المسيحية أمران:

الأول: يتعلق بالقيم.

الثاني: يتعلق بالسلوك.

وسوف نشير فيما يلي إلى كل منهما:

---

(2)– محمد السيد، تاريخ اليهود والفتح والحديث، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، 2007، ص 109– 112.

(1)– هدى على جواد الشمبري و سعدون محمود الساموسي ، مرجع سابق، ص53.

(2)– حسين عبد الحميد و أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 85.

الأول: القيم في المسيحية

لأول مرة يجد البشر قيما جديدة لا عهد لهم بها لا في فلسفة اليونان ولا في شريعة اليهود، جاءت بها المسيحية، فإذا كان ما يهم الإنسان هو سعادته فان تلك السعادة ليست في هذا العالم، فليست الأرض إلا منفى، أما مملكة الله فليست في عالمنا الأرضي بل هي في العالم الآخر، وهكذا جعلت المسيحية كل قيم الحياة الدنيا لا تساوي شيئا بجانب القيم الخالدة في الحياة الخالدة، ولهذا فان اهتمام بهذا العالم الآخر هو الذي ينبغي أن يستحوذ على كل الرغبات وأمال الإنسان ويسيطر على سلوكه وأفعاله، وأفكاره[1].

ففي الإنجيل:

1- لا تجمع النفائس حيث السوس والصدأ يتلفان كل شيء، وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون.

2- ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان[2].

3- ماذا ينفع الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه[3].

4- لا يقدم أحد أن يخدم سيدين لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، ولا تقدر وأن تخدموا الله والمال.

5- لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس[4].

فالمسيحية تدعوا إلى ترك منع الحياة الدنيا والزهد في نعيمها وعدم التعلق بالمال والمسيح عليه السلام ينصح إتباعه قائلا: اترك مالك واتبعني، والمحبة قيمة حرصت عليها المسيحية، ففي الإنجيل وصية جديدة أنا أوصيكم أن تحبوا بعضكم بعضا.

---

(3)- هدى على جواد و سعدون محمود، مرجع سابق، ص53- 54.

(2)- الإنجيل، إنجيل متّى :1-4.

(3)-الإنجيل، إنجيل متّى : 26- 16.

(4)-الإنجيل، إنجيل متّى: 6- 25.

ثانيا: الوسائل الخلقية (السلوك)

دعا المسيح عليه الصلاة السلام إلى تغيير شامل في النفس الإنسانية ليؤثر على السلوك الفردي والاجتماعي ويتجلى ذلك من نصائح الإنجيل ومنها:

1 – طوبى للمساكن بالروح لان لهم ملكوت السموات[1].

2 – طوبى للخزائن لأنهم يتعزون[2].

3 – طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض[3].

4 – طوبى للجياع والعطاشي إلى البر لأنهم يشبعون[4].

5 – طوبى للرحماء لأنهم يرحمون[5].

6– طوبى للرحماء لأنهم يرحمون[6].

إن الفارق الجوهري بين المسيحية واليهودية يتجلى في مسألة الجزاء فبينما أخذت اليهودية بقاعدة الجزاء، فالعين بالعين والسن بالسن، بينما نجد المسيحية تدعوا إلى مقابلة الشر بالخير والرد على السوء الحسن.

1 – أحبوا أعدائكم، باركوا لأعينكم، أحسنوا لبعضكم وصلوا لأجل الدين يسيئون إليكم.

2 – لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا.

3 – فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه.

وهكذا نجد أن في المسيحية من تعاليم الزهد ورياضة النفس ما يذكرنا بمبادئ الفلسفة اليونانية واللاتينية في مجال الأخلاق خاصة أراء "سقراط"و"أفلاطون"و"الرواقين"و"شيشرون"، وهذا ما ظهر أثره فيما يعد من امتزاج تلك الفلسفة الأخلاقية بالديانة المسيحية.

---

(1)–الإنجيل،إنجيل متّى: 5– 3.

(2)–الإنجيل،إنجيل متّى: 5– 4.

(3)–الإنجيل، إنجيل متّى: 5–5.

(4)–الإنجيل،إنجيل متّى: 5– 6.

(5)–الإنجيل، إنجيل متى: 5:7.

(6)–الإنجيل،إنجيل متى :8–5 .

وقد ظهر هذا الامتزاج منذ القرن الأول للميلادي ووجد له تبريرا أن الإيمان يحتاج إلى الفهم وإلى الأدلة العقلية ثم أن الإيمان لا يناقض العقل وظهرت ثمار ذلك في القرون الخمسة الأولى للمسيحية في الإنتاج اليوناني القديس فليون الاسكندري.

II .1 – الجانب التطبيقي في الأخلاق المسيحية:

أشرنا فيما سبق إلى الأخلاق النظرية كما جاءت بها تعاليم الديانة المسيحية، وأغرب ما نلمسه عند النظر في الأخلاق العملية والسلوك الواقعي لمعتنقي هذه الديانة هو البون الشاسع بين النظرية والتطبيق وبين المبادئ والواقع في عصرنا فحسب بل وعبر عصور التاريخ أيضا. وأما بالنسبة لتاريخ الشعوب المسيحية فيكفي أن نذكر الحروب الصليبية التي شوهها على المسلمين في الشرف وما جرى فيها من مذابح بخاصة في القدس حيث ذبحوا النساء والشيخ والأطفال وزاد ضحاياهم فيها على مائتي ألف شهيد مسلم.

بل ولا ننسى ذبح المسلمين في الأندلس بعد انتصار المسيحيين فيها وأيضا ما فعله الاستعمار المسيحي بشعوب البلاد الإسلامية من شرق آسيا وأند ونسيا ولقد قامت في أوروبا الجمعيات الثورية التي غايتها القضاء على من تراهم أعداء المسيحية ووسيلتهم الدماء والمقاصل[1].

وهكذا قد اتضح لنا كيف أن مفكري الغرب المسيحي كانوا يقيمون الأخلاق على أسس الهيئة مثلما الأعلى الهيئة مثلما الأعلى الكمال الإلهي، ومن ثم فإن الأخلاق المسيحية هي أخلاق دينية في المقام الأول، ولهذا فإن تفسير الأفعال والأقوال والسلوك يكون على أساس ما تحمله من موافقات أو معارضات للدين المسيحي، فإن وافقته[2].

---

(1)– هدى علي جواد الشمبري و سعدون محمود الساموسي، مرجع سابق، ص55– 56.

(2)– فايزة أنور و احمد شكري،مرجع سابق، ص113.

II . 1 .1 – أخلاق الزواج في المسيحية:

الزواج في المسيحية عقد مقدس يربط بين رجل وامرأة واحدة، و لا يفرق بينهما إلا بالموت، ولا يفسخ هذا العقد إلا لعلة الزنا، والمهر يعتبر ثانويا في الزواج المسيحي، إذا أن الزوج لا يدفع المهر إلا طبقا للعادات المحلية، وتحرم المسيحية تعدد الزوجات.

وتجعل الكاثوليكية للعزوبية قيمة دينية كبيرة، جاء في الإصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأول إلى أهل "كورنثوس""من زوج فحسنا يفعل، ومن لم يزوج يفعل أحسن" كذلك تحرم الكاثوليكية على القسيس الكاثولوكي الزواج.

وقد تبين أن المتزوجين من الكاثوليك اقل عددا منهم بين البرونستانت فقد صغت دراسة محلية في غضون سنة 1930- 1933 في ثلاثة مدن أمريكية "بروكلن"و"سيراكيوز" التابعتان لحكومة نيويورك، و"كولومبس" التابعة لحكومة أوهيو، تناولت 12500 أسرة من العرق الأبيض تبين منها أن نسبة المتزوجين في سن 30-34 عند الرجال هي 65% عند الكاثوليك و78% عند البرونستانت، وعند النساء 66% و80%.

كذلك يمنع الدين المسيحي الزواج خلال الصوم الكبير وقبل عيد الميلاد Avent ألا أنه قل اليوم الانتباه إلى الزمن السابق للميلاد، ويقن الاعتبار للصوم الكبير ولا سيما أواخره، لذا نجد شهر آذار (مارس) عند الاوروبين تقع فيه النهاية الصغرى لعقود الزواج، كما أن النهاية العظمى للزواج واقعة غالبا في المجتمعات المسيحية بنيسان (ابريل) بعد الخروج من الصيام أي هي قريب من عبد الفصيح.

وقد أخذت المرأة بعض حقوقها الاجتماعية والاقتصادية اعتمادا على تعاليم الدين المسيحي الروحية والخلقية، فقد دعا المسيح عليه السلام إلى المساواة بين البشر لا فرق بين ذكر وأنثى، وكان عليه السلام برا بالنساء عطوفا عليهن، ومع هذا ظلت أوروبا المسيحية، كما كانت أوروبا الوثنية تزدري المرأة شر ازدراء، و لم تكن تنظر إلى صلاتها بالرجل على أنها صلات ذكور وأنوثة وكفى، بل على أنها صلة عبودية ورق ومهانة. ولهذا يقول القديس بولس: المسيح سيد الرجال، والرجال سيد المرأة، الرجل لم يخرج من ضلع المرأة ولكنها هي التي خرجت من ضلع الرجل، الرجل لم يخلقه للمرأة، المرأة خلقها الله للرجل.

ويقول القديس أغسطين: الرجل سيد والمرأة عبد، إنها إرادة الله التي جعلت سارة تطيع إبراهيم وجعلته سيدها فزوجاتهم عبيدكم وانتم سادة لهن وردت فلسفة الكنيسة أن الرجل ينتمي إلى نفسه والمرأة تنتمي للرجل[1].

ومن المفكرين الذين عادوا المرأة عداء شديدا الفيلسوف المسيحي اللاهوتي الايطالي "تومي الاكوبني" (1225، 1274م) الذي كان يقول: «أن المرأة خلقت دون الرجل كما لا حتى على صعيد النفس بالذات وهي ملزمة بطاعته لأنه أكثر رؤية وتعقلا منها، لا وجود في الحقيقة إلا الجنس واحد هو الجنس الذكر وما المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب إن كانت المرأة، وهي الكائن المعتوه والموسم بميسم غباء قد سقطت في التجربة، ولذا تعين عليها أن تظل تحت الوصاية».

ومن كل هذا تستنتج أن الأخلاق المسيحية علمت الناس أن تتحر دوافع سلوكهم من الرغبة في الحصول على استحسان الآخرين فتكون أعمالهم الفاضلة من اجل الفضيلة وليس من اجل التظاهر بها وقد ورد هذا في حديث السيد المسيح عندما قال: «فإن ما يفعلون هذا لينالوا استحسان البشر، يستوفون أجرهم بمجرد ثناء الناس عليهم »[2]، ويقول أيضا: «تطالب الأخلاق المسيحية أن يكون الناس ملح الأرض ونورا للعالم كي يعم خيرهم »[3].

أما الكمال في الأخلاق المسيحية فقد كان له أهمية كبرى ودعوة واضحة، تظهر في النموذج الذي تضعه المسيحية أمام أعين المسيحيين وهي طبيعة، الله الكاملة فتقول: «كونوا كاملين كما أن إياكم الذي في السموات هو كامل»[4].

وهذا يختلف عن كافة الشرائع والفلسفات القديمة التي جعلت المقارنة في العمل الأخلاقي مع تجارب دنيوية أو نماذج بشرية وأن الكمال في الأخلاق المسيحية التي يطلبها المسيح يظهر في توجيه النظر إلى داخل النفس إلى ظواهر الأمور فلا يكفي أن تكون الأفعال صالحة بل ينبغي أن تكون الدوافع تقنية لانتقاء الفكر والقلب هي التي تجعل الإنسان يضبط عواطفه ورغباته ذلك لان الشهوة والغضب هما ضد المحبة أما بعض الصفات كالوداعة ونقاوة القلب والرحمة، هي صفات أبناء الملكوت.

---

(1)– حسين عبد الحميد و أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 86–87. انظر إلى محمد حسين هيكل، حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ب ط، دار المعرفة الجامعية، د ت، ص280.

(2)– الإنجيل، إنجيل متّى 6: 1–18.

(3)–الإنجيل، إنجيل متّى 5: 13–14.

(4)–الإنجيل، إنجيل متّى 5: 48

ولقد اهتم المسيح بكل ما هو أصيل وعميق في الشخصية الإنسانية، لأن هذه هي الينابيع التي تفيض منها الأخلاق العملية فالشخصية هي التي تحدد السلوك «كل شجرة جيدة تضع أثمارا جيدة، وأما الشجرة الرذية فتضع أثمارا رذية»[1].

III- الأخلاق في الإسلام:

وإذا انتقالنا إلى الدين الإسلامي نجده يمثل نظاما متكاملا ينطوي على الأخلاق في توكيده الخير والسعادة، ويشتمل على كل القيم الأخلاقية الإنسانية السليمة التي لا يقوم مجتمع صالح إلا بها [2] والعفو والرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستقامة والصبر و كضم الغيط.[3]

ومنه فإذا أردنا أن نحدد موقع الأخلاق في الشريعة الإسلامية فيمكننا القول أنها ليست قسما كبيرا مستقلا من أقسام الشريعة الإسلامية فحسب، بل أنها في جملتها تعد أحد أصول الدين الإسلامي العنيف بل أنها تعد أهم واخطر أركان دين الله في مختلف الشرائع وعلى مر العصور، فالشرائع السماوية تتعاقب ويتم فيها النسخ والتبديل والتغيير بحيث تجيء كل شريعة مناسبة للعصر الذي نزلت على يد رسول الله فيه، يقول تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[4] أي جعل الله تعالى كل قوم من أهل الملل المختلفة طريقا يسلكونه يتناسب مع حالهم وبيئتهم في أسلوب واضح بلغتهم وطرائق استعمالهم والمناهج هو الطريقة التي اختصت بها كل شريعة والأسلوب الذي يتم به إبراز أحكامها.

وبما أن الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقول الرشيدة والنفوس المستقيمة التي تتبع منهج أخلاقي إسلامي واضح المعالم يتميز بالفطرية، والكمال، والثبات والصدق والشمول والعمومية، فقد رأس هذا المنهج الأخلاقي الإسلامي قيم وقواعد أخلاقية متينة تهدف إلى خير الإنسان في الدنيا وسعادته في الآخرة[5].

---

(1)- الإنجيل،إنجيل متّى 7: 7.

(2)- صلاح الدين سيوفي رسلان، قيم أخلاقية إسلامية، ط1، القاهرة، 1982، ص1- 3.

(3)- حسين الشرقاوي، مرجع سابق، ص 211. انظر إلى محمد يوسف موسى،الأخلاق في الإسلام، ط 1، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1968، ص22.

(4)- القرءان الكريم، سورة المائدة، الآية 48.

(5)- خالد حربي، مرجع سابق ، ص19.

ولذلك فإن التنديد بأخلاقيات الجاهلية قد بدأ من اللحظة الأولى، مع التنديـــد الفســـاد تصوراتهـــم الاعتقادية، واستمر ومعه حتى النهاية، واستمروا معه حتى النهاية، وفي ذلك دلالة معينة لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا، وهي أهمية العنصر الأخلاقي في هذا الذين أو ارتباط التصور الاعتقادي.

بالسلوك الأخلاقي في شتى مناحي الحياة، فالأخلاق ليست شيئا ثانويا في هذا الدين، وليست كذلك محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري كله، وإنما هي ركيزة من ركائز،كما أنها شاملة للسلوك البشري كله، ويندد القرآن بأخلاقيات الجاهلية منذ السورة الأولى، سورة العلق،بل يندد بها قبل أن يتحدث عن الفساد العقيدي ذاته، وكأنه ينبهنا بذلك إلى أن الفساد العقيدي ليس فسادا "نظريا" ولا فسادا في «التصور» المكنون في داخل الضمير فحسب، بل أن له أثارا سلوكية عملية يرف بها ويتميز. «كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»[1]، والطغيان "خلق"...خلق جاهلي ينشأ من فساد عقائدي لصوري: «أن رآه استغنى» فحين يتصور –الوهم– أنه قد استغنى بما في يده من المال والبنين والسلطان الممدود في الأرض، فإنه يطغى ويتجبر[2].

وإذا كان الإسلام قد قلب تماما ما كان عليه العرب في جاهليتهم من العقائد، لأنه وجدها كلها باطلة وضالة عن الحق، فإنه لم يفعل ذلك في ناحية الأخلاق، وخلق غيره وأن كان صالحا للبقاء ولذلك نراه يستبقى ما وجده خيرا من الأخلاق التي درج عليها العرب في حياتهم، وأخذوا أنفسهم بها، فأمر بها وحث عليها، ووعد في ناحية العادات والتقاليد والأخلاق، إلا ما كان منها سيئا وعلى أن تأخذ مكانها الجديد منها، وعلى أن تكون مثلا أعلى لغيرها[3].

ومن أجل ذلك كان العرب على استعداد كبير لقبول ما جاء به القرآن من هداية وإرشاد وأخلاق بها صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا و الآخرة وذلك بعد أن استقر الإيمان بالله ودار الجزاء في قلوبهم فكان الواحد منهم ربما سمع الآية أو الآيتين من القرآن يكتفي بما سمع ويعمل به، لأن الإنسان أزال ما كان على عقله وقلبه من غطاء، أو كشف له عن خطرته السليمة التي فيها استعداد لقبول الحق والعمل بالخير، فهذا "صعصعة بن معاوية"، كما يروى الإمام أحمد وغيره، أتى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقرا عليه سورة الزلزلة قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[4]، حسبي لا أبالي أن أسمع غيرها[1].

---

(1)– القرءان الكريم، سورة العلق،الآية 6– 7.

(2)– محمد قطب،دراسات قرآنية، ط6، دار الشروق، 1991، ص130.

(3)– محمد يوسف موسى، مرجع سابق، ص21.

(4)– القرءان الكريم، سورة الزلزلة، الآية 7– 8.

أخلاق المسلمين نابعة من القرآن والسنة والإجماع والقياس وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدب فكان مثالا أعلى بها، وعمل على تأديب أمته لها، وقد أثنى الله تعالى في قوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2] ومن حديثه (صلى الله عليه وسلم) إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

ولقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه، فقال يا رسول الله، ما الدين؟ قال حسن الخلق، فأتاه من يمينه، فقال يا رسول الله ما الدين؟ فقال حسن الخلق، ثم أتاه من ورائه، فقال يا رسول الله؟ ما الدين؟ فالتفت إليه وقال، أما تفقه، هو أن لا تغضب وقبل لرسول الله، ما الشر؟ قال سوء الخلق.

ومنه والعلاقة وثيقة بين الإيمان والخلق عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وللخلق ثقله في ميزان الآخرة ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»[3].

وقال عليه الصلاة والسلم: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمنين يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحشة البذيء» وقال عليه السلام: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبتغ به درجة صاحب الصلاة والصوم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الجنة؟» فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عليه السلام عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج» وقال عبد الله بن مبارك أنه وصف عليه الصلاة والسلام حسن الخلق: «هو بسط الوجه، أو بذل المعروف، وكفى الأذى» وعن جابر: أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون » والمتفيقهون: المتكبرون. العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وتتألق هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة الإسلامية في المأمورات والمذهبيات فقوله: «خذ العفو» دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين.

ويدخل في قوله: «وأمر بالمعروف» صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال، وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار.

ويدخل في قوله تعالى: «اعرض عن الجاهلين» الحض على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة[4].

---

(1)– خالد حربي، مرجع سابق، ص21.

(2)– القرءان الكريم، سورة القلم، الآية 4.

(3)– مسند احمد 250/2، ومختصر سنن آبي داود.

(4)– قدور إبراهيم و عمار المعاصي، معاني الجوانب الأخلاقية في الإسلام، ب ط، د ت، ص 57– 58.

ومنه فالإسلام يعمل دائما على تحقيق النمو الأخلاقي للفرد المسلم، لأن حسن الخلق زينة الإنسان وهي التي تجعله محبوبا في المجتمع ولدخوله في الآخرة، كذلك فإن الأخلاق الحسنة من عوامل النهوض والأمن والاستقرار الاجتماعي، وسوء الأخلاق من أسباب تفكك المجتمع وانهيار الدولة وسقوط الحضارات وعلم الأخلاق باختصار هو علم الخير والشر، والتربية الخلقية هي التي تحقق الروح الخبرة، لأن هدفها الأول بناء إنسان خير يكف شره وجرمه عن الناس ويعمل باستمرار الخير نفسه وخير أمته[1].

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوتى بسبايا الطائي وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بين سيدي قومي، وإن أبي كان يحمي الديار، ويفك المعاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشي السلام ولم يرد طلب حاجة فقط، ....أنا ابنة حاتم الطائي، فقال عليه السلام يا جاريا هذه صفة المؤمنين حق، ولو كان أبوك مسلما لا ما ترحمنا عليه، خلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق.

وإن تحدثنا عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا أنفسنا أمام سيل هائل من الفضائل والمكارم الأخلاقية، فمن أخلاقه الصدق والأمانة التي كان متحليا بها قبل وبعد البعثة فكان أهل مكة يقولون: جاء الصادق الأمين وذهب الصادق الأمين، وقد سئل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، وقيل لعائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله، قالت كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، لا يرفع صوته، ولا يجزئ بالبيئة مثلها ولكن يعفو ولا يصفح، وكان قلبه عليه الصلاة والسلام يفيض بالرحمة فعن انس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فاسمع بكاء الصبي فأتجور، أي أخفف في الصلاة، في صلاتي ما اعلم من شدة وجد أمه من بكائه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت، ما ضرب رسول الله خادما له قط، ولا امرأة قط وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله...وما عرض عليه أمران: أحدهما أيسر من الآخر إلا أخد بأيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه[2].

ومن أظهر ما تخلق به المصطفى صلى الله عليه وسلم: حسن المعاشرة وكرم الضيفة، وليس الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام والابتداء به، وحسن الجوار، والإصلاح بين الناس والسماحة وعيادة المريض

(1)– مقداد يلجن، أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط2، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، 1989، ص77.

(2)– حسين عبد الحميد و أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 98– 99. انظر إلى الشيخ عبد اللطيف محمد عمارة، التربية بالقدوة الحسنة أعظم من التربية للكلمة ولها تأطير بالغ عن مجلة المجاهد، العدد 203، في يوليو 1997، ص15.

وتشييع جنازة المسلم، وتوقير ذو الشيبة، و كظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب الغيبة، والكذب والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة.

وقطيعة الأرحام، والتكبر، والفجور والاحتيال والاستطالة والبذخ، والفحش، والتفحش والحقد والحسد والبغي والعدوان والظلم، وكان من حديثه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوصاني ربي بتسع أوصكم بها، أوصاني بالأخلاق في السر والعلانية والعدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر، وان أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، واصل من قطعني، وأن يكون صوتي فكرا، ونطقي ذكرا، ونظري عبرة».

وقد أفهم النبي صلى الله عليه وسلم قومه وعشيرته الأدوام لملكهم إلا بالخلق وحده فإذا أردنا آن يحترمنا الناس، فلنحترم أنفسنا، ولنسير بأخلاقنا إلى حيث أراد الله أن نكون خيرا أمة أخرجت للناس.

هذه بعض أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلينا نحن المسلمين أن نتخلق بأخلاقه، وأن نقتدي به في سلوكه وأفعاله، أما إذا سقطت الخلق سقطت الدولة معه.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا وينبغي قبل الدخول في تفصيل القول في الأخلاق التي أمر بها القرآن وسنة كل من يبحث الأخلاق في الإسلام وهما:[1]

الأول: إن الإسلام منذ أول ظهور قد استحدث باعثا آخر يجب أن يكون هو الدافع إلى مكارم الأخلاق غير ما كان عليه الأمر عند العرب قبله، فقد كان العرب قبل الإسلام، في الغالب من أمرهم، يفعلون الخير اتقاء للذم، وطلبا للثناء وحفاظا على الحسب والمجد، وطلبا لحسن الأحدوثة والذكر، فحاتم الطائي مثلا يؤكد لحرمه ويقول "أخاف مذمات الأحاديث من بعدى"، ولكن الإسلام نظر إلى الباعث على الأخلاق نظرة أخرى، وذلك حين أغين التفاخر بالأجداد والأحساب، وجعل مناط الفضل التدين وعمل الخير لأنه خير البغاء وجه الله ورضاه، وذلك ظاهر في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[2]. وقوله في تفضل أبي بكر على من أساء إليه ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾[3].

الثاني: إن بعض ما يحسب على العرب من الرذائل والأخلاق والعادات السيئة لم يكن إلا مبالغة وإفراطا في الخير يزعمهم، أو نشأ عن سوء تقدير لمعنى الخير في رأيهم، فالإسراف في العطاء مثلا ليس إلا مبالغة وعلو في الكرم، وإذا

---

(1)– محمد يوسف موسى، المرجع السابق، ص26.

(2)– القرءان الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

(3)–القرءان الكريم، سورة الفجر، الآية 19– 20– 21.

البنات ليس إلا ذهابا إلى أقصى الحدود في الغيرة على العرض، والتهور الذي كان من طباع الكثير منهم ليس إلا إفراطا في الشجاعة، وقتل الأبرياء أحيانا ما هو إلا غلو في الأخذ بالثأر وتقدير الحسب والاعتداء به، وهكذا الأمر في عادات سيئة أخرى، فكان من الإسلام أن أخذ هذه النفوس المملوءة بحب الفضيلة إلى درجة الإفراط فيها، وإلى الاعتدال والتوسط في الأمر، وكان من اليسير على العرب وحالهم كما وصفنا- أن يتقبلوا ما جاء من أخلاق بقبول حسن.

وقد اهتم الإسلام وأعلن عن قيمة الإنسان صاحب الفعل الأخلاقي حيث أفاضت آيات كثيرة في تقرير عزة الله له، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[1]. فالإنســـان خليفـــة الله في الأرض، وكفر به ذلك كرما، وقدرا، وعزة.

ويأتي وصف القرآن للإنسان الكامل في مقابل تصوير الفلاسفة والمفكرين حيـــث يقـــول الله عز وجل: ﴿وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إنا يبلغن عنك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾[2] ،فهذه الآية توضح أن الإيمان بمبادئ الأخلاق الرشيدة، والتي تظهر الآية في حسن معاملة الوالدين.

لقد حث الإسلام على مكارم الأخلاق ودعا الناس إلى الفضيلة والخير بل أن الأديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة إلى تحرير الإنسان من العقائد السابقة وإرشاده إلى الفضائل، فالخلق الكريم والاستقامة بالفضيلة أساس من أسس السعادة، وهدف من أهداف الرسالات السماوية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحبكم إلى واقربتم مني منزلا يوم القيامة احاسنكم أخلاقا، الموطأ ون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون، وأن أبغضكم إلى وأبعدكم منزلا يوم القيامة، الثرثارون المتشدقون المتفيهفون » قبل يا رسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فمن هم المتفيهقون؟ قال: المتكبرون[3].

لقد تربى المؤمنون الأولون على أخلاق الإسلام فكانت قلوبهم نظيفة وأيديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الإيمان فلما فتحت لهم البلاد وخضعت لهم العباد لم يأخذهم الغرور ولم تلههم الدنيا عن الآخرة ولم يخرجوا عند الله، بل حافظوا الأمانة وأحسنوا القيادة و سهر المصلحة الرعية وكانوا نجوما ساطعة في تاريخ البشرية... وكل ذلك يرجع إلا أن الإسلام جاء رسالة سمحة تدعوا إلى مكارم الأخلاق وتحث عن الفضيلة والخير وتنهي عن الإثم والشر، قال الله

---

(1)–القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 30.

(2)– القرءان الكريم، سورة الإسراء،الآية 23.

(3)– الحديث، رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تتذكرون﴾[1]. فلقد اتمى الإسلام رسالات السماء ودعم القيم وحث على التحلي لمكارم الأخلاق. وتميز القرآن بأنه روح وحياة أحيا العرب من أموات الجاهلية وأخرجهم من الظلمات إلى النور وجمع شملهم ووحد كلمتهم فصاروا خير أمة أخرجت للناس[2]. قال تعالى: ﴿قد جاءهم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجكم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديكم إلى صراط المستقيم﴾[3].

الإسلام يجعل حسن الخلق في قمة الأهداف التي ينبغي أن يتنافس فيها الأفراد ويجعل حسن الخلق لذاته درجة دينية ترفع قدر صاحبها عند الله، بل يستشف من كثير من الأحاديث النبوية أن الحرص على حسن الخلق أفضل عند الله من الإنهماك في العبادات الروحية دون الاهتمام بحسن الخلق. ومن قبيل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وأنه يبلغ سوء خلقه أسفل درجة في جهنم»[4].

فالقرآن الكريم يشتمل على جميع القواعد الأخلاقية التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، ففيه قواعد تتضمن واجبات على المرء نحو خالقه، وقواعد خاصة بأخلاق الفرد الذاتية من جهة، وعلاقة بأسرته من ناحية أخرى، فضلا عن القواعد التي تنظم أخلاقية في المجتمع والدولة، بل وفي علاقته الدولية، وتفضيل القول في كل هذه القواعد تحتاج دراسات مستقلة.[5]

---

(1)– القرءان الكريم، سورة النحل، الآية 90.

(2)– عبد الله شحاتة، الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، ط1، الهيئة المصرية، 1986، ص 179– 182.

(3)–ا لقرءان الكريم، سورة المائدة،الآية 15– 16.

(4)– رواه أبو داود في سننه.

(5)– خالد حربي، مرجع سابق، ص27.

III.1– القواعد الأخلاقية التي وضعها القرآن الكريم: (نصوص من القرآن الكريم):

III.1–1– الأخلاق الفردية: ويتمثل في:

– طهارة النفس: قال الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾[1].

وقال تعالى أيضا: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم، إذ قال:... ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[2].

– الاستقامة: قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه﴾[3].

وقال تعالى أيضا: ﴿فاستقم كما أمرت، ومن تاب معك﴾[4].

–العفة– الاحتشام– غض البصر: قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يخصوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم﴾[5].

﴿ويستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾[6].

﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة، وأن يستعففن خير لهن﴾[7].

– المتحكم في الأهواد: قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾[8].

وقال تعالى أيضا :﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾[1].

---

(1)– القرءان الكريم، سورة الشمس، الآية 9،– 10.

(2)– القرءان الكريم، سورة الشعراء، الآية 87– 89.

(3)– القرءان الكريم، سورة فصلت،الآية 6.

(4)– القرءان الكريم، سورة هود، الآية 30– 31.

(5)– القرءان الكريم، سورة النور،الآية 6.

(6)– القرءان الكريم، سورة النور، الآية 33.

(7)– القرءان الكريم، سورة النور، الآية 60.

(8)– القرءان الكريم، سورة النازعات،الآية 40– 41.

وقال تعالى أيضا: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كابما تعملون خبيرا﴾[2].

– **كظم الغيظ**: قال تعالى: ﴿أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والغاضب عن الناس والله يحب المحسنين﴾[3]

– **الرقة والتواضع**: قال تعالى:﴿واقصد في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[4].

– **اجتناب سوء الظن**: قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس ل كبه علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[5].

– **الثبات والصبر**: قال تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾[6]، ﴿واصبر وما صبرك إلا الله ﴾[7]، ﴿يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾[8]، ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾[9].

– **القدوة الحسنة**: قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾[10]، ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الله؟... قال الحواريون: ﴿نحن أنصار الله﴾[11].

(1)– القرءان الكريم، سورة ص، الآية 26.
(2)–القرءان الكريم، سورة النساء،الآية 135.
(3)– القرءان الكريم، سورة آل عمران، الآية 134.
(4)– القرءان الكريم، سورة لقمان، الآية 19.
(5)– القرءان الكريم، سورة الإسراء، الآية36.
(6)– القرءان الكريم، سورة المدثر، الآية7.
(7)– القرءان الكريم، سورة النحل، الآية127.
(8)– القرءان الكريم، سورة آل عمران، آخر الآية.
(9)– القرءان الكريم، سورة آل عمران، الآية 176.
(10)– القرءان الكريم، سورة الأحزاب، الآية 21.
(11)– القرءان الكريم، سورة الصف،آخر آية.

III.1-2- النواهي:

- انتحار الإنسان، وبتره لعضو من أعضائه، وتشويه:

قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]، ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾[2]، ﴿لا تبديل لخلق الله﴾[3].

- الكذب:

قال تعالى :﴿واجتنبوا قول الزور﴾[4]، ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون﴾[5].

الكاذبون﴾[5].

- النفاق: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام، وإذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم، ولبئس المهاد﴾[6].

- الرياء: قال تعالى: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا... الذين...والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾[7].

- الزّنا: قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[8]، ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[9].

---

(1) -القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية195.

(2)-القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 29.

(3)-القرءان الكريم، سورة الروم،الآية 30.

(4) -القرءان الكريم، سورة الحج، الآية30.

(5)-القرءان الكريم، سورة الشمس، الآية 105.

(6)-القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 204- 206.

(7)-القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 38.

(8)-القرءان الكريم، سورة الإسراء، الآية 32.

(9)-القرءان الكريم، سورة النور،الآية 2-3- 4. وينبغي هنا، فضلا عن هذا الجزاء المفروض على الجريمة المقترفة، أن نتذكر الإجراءات الوقائية التي اتخذها القرآن الكريم في مواجهة هذا الانحلال الأخلاقي.

1 - الحث على الزواج ﴿النور32﴾.

2 - إباحة الزواج شرعا بزوجة أخرى في ظروف معينة ﴿النساء3﴾.

3 - الأمر بغض البصر أمام مفاتن النساء ﴿النور30﴾.

III.1-3- الأخلاق الأسرية:

أولا: واجبات نحو الأصول والفروع

- الإحسان إلى الوالدين، حفظ الجناح لهما، طاعتهما

قال تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا، وذي القربى﴾[1]، ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن يبلغن عنك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما، كما ربياني صغيرا﴾[2].

- احترام حياة الأولاد:

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقهم وإياهم ﴾[3]، ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملان، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾[4].

III.1- 4- من أخلاق المسلمين:

- الصدق:

إن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقا ولا يعلمون إلا حقا.

وحيرة البشر وشقاوتهم، نرجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسلط أكاذيب وأوهام عن أنفسهم وأفكارهم، أبعدتهم عن الصراط المستقيم وشردت بهم عن الحقائق التي لابد من التزامها.

---

(1)-القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 36.

(2)-القرءان الكريم، سورة لقمان، الآية 14- 15.

(3)-القرءان الكريم، سورة النساء،الآية 151.

(4)-القرءان الكريم، سورة الإسراء، الآية 31.

ومن هناك كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، دعاية ركينة في خلق المسلم، وصبغه ثانية في سلوكه، وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائما على محاربة الظنون ونبذ تظهر وتغلب، وأن تعتمد في إطار العلاقات المختلفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظّن فإن الظّن أكذب الحديث»[1] وقال: «دع ما يريبك إلى ما يريبك، فغن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»[2].

وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأن عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب فقال تعالى: «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[3] وقال تعالى: «وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يعني من الحق شيئا»[4].

والإسلام لاحترامه الشديد للحق طارد الكاذبين وشدد عليهم بالنكير عن عائشة أم المؤمنين قالت: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة » وفي رواية عنها: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولو كان الرجل يكذب عنده الكذبة، فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة»[5].

فالإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشيبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها.

وعن عبد الله بن عامر قال: «دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت: هاك أعطيك، ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا فقال لها: «أما إنك لولك تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»[6].

---

(1)– رواه البخاري.

(2)– رواه الترمذي.

(3)–القرءان الكريم، سورة النجم، الآية 23.

(4)–القرءان الكريم، سورة النجم، الآية 28.

(5)– رواه أحمد.

(6)– رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال لصبي تعال: هاك ثم لم يعطه وهي كذبة»[1].

ومنه فالصدق في الأقوال يتأذى بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال، فإن حرص الإنسان على الالتزام الحق فيما بئس به يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره، ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا شديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾[2].

والعمل الصادق هو العمل الذي لا ريبة فيه لأنه وليد اليقين، ولا هوى معه لأنه قريب الإخلاص، ولا عوج عليه تبع من الحق.

ونجاح الأمم في أداء رسالتها، يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة فإن كانت ثروتها في صدق العمل كبيرة سبقت سبقا بعيدا إلا سقطت في عرض الطريق، فإن التهريج والإدعاء والهزل لا تغني قتيلا عن أحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عنه الله صديقا... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[3] وأما البر الذي هدى إليه الصدق فهو قمة الجامعة: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من أمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»[4].

– الوفاء بالعهد:

الوفاء بالعهد خلق يقتضيه الإنصاف والصدق، وتوجيه المرؤة و كرم النفس و تحتمه الرجولة والنبل، ما أصغر وما أذل وما اخس النفس التي تتخذ عدها وسيلة إلى تعزيز بمن تعاهده وتجعل يمينها سبيلا إلى أن تفجئه وهو امن

---

(7)– رواه أحمد.

(1)–القرءان الكريم، سورة الأحزاب، الآية 70– 71.

(2)– رواه البخاري.

(3)–القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية 177.

مطمئن، الغادر كاذب حانث خادع قد جعل كلامه وعهده حبالة لمأربه، حبالة واهية ذليلة كحبالة العنكبوت يصيد بها الذباب، ودب من وراء الأمن إلى خصمه كما تدب الثعالب والذئاب، أين هذا من الإنسانية في أخلاقها العالية، والرجولة في سجاياها الحرة؟ وأين هذا من أخلاق القرآن كتاب الإنسانية الكاملة؟.

القرآن الكريم يأمر بالوفاء بالعهد، ويؤكد الأمر به، يعظم شأنه ويكبر الموفين، وينهى عن الغدر ويشتد في النهي عنه، ويقبحه ويلعن الغادرين.

ومن يتدبر آيات القرآن يجد العهد فيها ضربن، العهد العامر و العهد الخاص، فأما العهد العام فهو أداء الواجب الذي يقتضيه عمل الإنسان.

العهد، ومن أمن بدين فقد عاهد أن يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه فإن لم يفعل فقد نقض العهد، ومن دخل في جماعة فقد عاهدها على أن ينفعها ولا يضرها، فإن ضدها أو قصر في نفعها فقد غدر، ومن تصدى للدفاع عن أيرضى أو جماعة أو عقيدة فقد عاهد ألا يألوا جهدا في الدفاع، فإن نكص فقد خان ومن أوتى علما أو عرف حق فكأنه عاهد أن يبنيه للناس ليهتدوا به فإن كتمه فقد خان بعهده[1].

والعهد لابد من الوفاء به، كما أن اليمين لابد من البر بها ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير وإلا فلا عهد في عصيان ولا يمين في مأثم.

وقد قال رسول الله: «من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير»[2].

والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين، إذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به، فإن الله أخذ على آدم أبي البشر، عهدا مؤكدا ألا يقرب الشجرة المحرمة، لكن أدم ما لبث أن نسى وضعف ثم نكث في عهده «ولقد عهدنا إلى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما»[3].

فضعف الدارة، وضعف العزيمة، عائقان كثيفان عن الوفاء الواجب والإنسان، لتحدد الحوادث أمامه، وترادف الهموم المختلفة عليه، يفعل الزمان فعله العجيب في نفسه، فتخبوا المعالم الواضحة، ويمسى ما كان بارزا في نفسه لا يكاد يبين.

---

(1)– عبد الوهاب عزام، أخلاق القرآن، ب ط ، مكتبة النور،د ت، ص17.

(2)– رواه مسلم.

(3)– القرءان الكريم، سورة طه، الآية 115.

ولهذا افتقر إلى مذكر دائم يغالب أمواج النسيان، ويمسك أمامه عينيه ما يوشك أن يذهل عنه، وما أكثر آيات القرآن التي تواردت لتصون هذا الذكر؛ قال تعالى: ﴿ابتعدوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾[1].

قال تعالى :﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾[2]، قال تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾[3]، قال تعالى: ﴿كذلك نخرج الموتى لعلكم يذكرون﴾[4].

ومنه فالعهود التي يرتبط المسلم بها درجات، فأعلاها مكانة، وأقدسها ذماما، العهد الأعظم، الذي يبين العبد ورب العالمين.

فإن الله خلق الإنسان بقدرته، ورباه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة وان يعرف بها، وألا تشرد به المعنويات، فيجهلها، أو يجحدها ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[5].

وإذا كان هناك من البشر من لم يستمع إلى المرسلين ويشتهد بما جادوا به، فإن له من فطرته سائقا يجدوه إلى ربه، ويبصره بخالقه، مهما حفلت البيئة بصنوف الفساد وضروب التخريب، وإن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده، وما أملك القرى الظالمة إلا بعد أن قال في أهلها[6].

﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾[7].

– الصبر:

«والصبر ضياء»[8]:

---

(1)– القرءان الكريم ، سورة الأعراف، الآية 3.

(2)– القرءان الكريم ،سورة الأنعام: الآية 23.

(3)– القرءان الكريم ،سورة الأعراف، الآية 26.

(4)– القرءان الكريم ،سورة الأعراف،الآية 57.

(5)– القرءان الكريم ،سورة يس: الآية 60، 61.

(6)– محمد الغزالي، خلق المسلم،ب ط، دار المعرفة، الجزائر، ص50– 52– 60.

(7)– رواه مسلم.

(8)– رواه مسلم.

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العصم من التخيط، والهداية الواقية من القنوط والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولابد أن يبني عليها أعماله وأماله، وإلا كان هازلا، .... يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به لحربة، يجب أن يظل موفور الثقة بأذى الثبات، لا يرتاح لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى بل يبقى مؤقتا بأن بوادر الصفو لابد آتية وأن من الحكمة في ارتقابها في سكون ويقين[1].

وقد أكد الله أن ابتلاء الناس لا مح

لها[2].

قال تعالى: «ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم»[3]؛ وذلك على حد قول الشاعر:

عرفنا الليالي قبل ما نزلت بنا****فلما ذهبنا لم تزدنا بها علما

ولا شك أن لقاء الأحداث ببصيرة مستنيرة واستعداد كامل أجدى على الإنسان وأدنى إلى إحكام شؤونه.

قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾[4]، ﴿ولربك فاصبر﴾[5]، ﴿يا أيّها الذين آمنوا اصبروا اصبروا وصابرو﴾[6].

والصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين:

أما الأولى فتتعلق بطبيعة الحياة الدنيا، فإن الله لم يجعلها دار جزاء و قرار بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر، قد يغاير الأول مغايرة تامة أي أن الإنسان قد يتمحن بالشيء وضده، مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى في الماء وهكذا.

---

(1)– محمد الغزالي: مرجع سابق، ص120.

(2)– أي يذلوا.

(3)– القرءان الكريم، سورة محمد " القتال "،الآية 31.

(4)– القرءان الكريم ،سورة آل عمران، الآية 186.

(5)– القرءان الكريم ،سورة المدثر، الآية 7.

(6)– القرءان الكريم ،سورة آل عمران، آخر آية.

وكان سليمان عالما بطبيعة الدنيا عندما رزق التمكين الهائل فيها فقال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر أم اكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[1].

والابتلاء بالأحزان مبهم الأسباب ويحسن أن نفهم أن أوضع الناس في الحياة كجيش عبئ للقتال وتكلف بعض فرقه بالقتال حتى الموت، لإنقاذ فرق أخرى وإنقاذ الفرق الباقية يكون للقذف بها في معارك جديدة، ترسمها القيادة حسبما توحى به المصلحة الكبرى، ومنه فإن تاريخ الحياة من بدء الخلق إلى اليوم مؤسف أو من الحق أن يشنق المرء طريقه في الحياة وهو موقن بأنه خاص بالأشواك والأقدار.

وأما الحقيقة الأخرى فتعلق بطبيعة الإيمان فالإيمان صلة بين الإنسان وبين الله عز وجل، وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس لا يعتد بها ولا ينوه بشأنها إلا إذا أكدها مر الأيام، وتقلب الليلي واختلاف الحوادث، فكذلك الإيمان، لابد أن تخضع صلته للابتلاء الذي يمحصها، فإما كشف عن طيبها، وإما كشف عن زيفها[2].

قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ليعلمن الكاذبين﴾[3].

والصبرهوتوطين النفس على المشتاق والمكاره، والإباء على الخطوب، و الاستكبار عن الخضوع للمصائب، والثبات في الموقف الضنك، والمقام الهائل أو السير إلى الغاية المخوفة حتى يستوفي العمل أطواره، ويبلغ نهايته، وينجح الطلب ويحمد الدأب.

والصابرون رواسي الأمم كلما زلزلتها الخطوب، وسكنيتها إذا طارت من الذعر القلوب، إذا طاشت الأحلام في مأزق الحرب صبروا حتى يتبلج النصر وإذا خارت العزائم في معارك الحياة دأبوا حتى يشرق الحق، والصابرون قادة الأمم إلى الحق والخير والظفر يسلكون إليها الأهوال حين ينكص غيرهم فرعا، ويستقيمون على الطريق حين يجيد غيرهم يائسا، ويواصلون المسير حين يقف من سواهم عجزا، ويحتملون المكاره، حين تنوء بكل عابر ويسئمون للمصائب[4].

– الإصلاح بين الناس:

(1)– القرءان الكريم ،سورة النمل، الآية 40.

(2)– محمد الغزالي،مرجع سابق، ص121.

(3)– القرءان الكريم ،سورة العنكبوت، الآية 2، 3.

(4)– عبد الوهاب، المرجع السابق، ص36.

قال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾[4].

الإصلاح بين الناس: هو أن يكون بين شخصين معاداة وبغضاء، فيأتي رجل موفق فيصلح بينهما، ويزيل ما بينهما من العداوة والبغضاء، وكلما كان الرجلان أقرب صلة بعضهما من بعض، فإن الصلح بينهما أوكد، يعني أن الصلح بين الأب وابنه أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه والصلح بين الأخ واخيه افضل من الصلح بين العم وابن أخيه، وهكذا علما كانت القطيعة أعظم كان الصلح بين المتباغضين وبين المتقاطعين أكمل وأفضل و أوكد.

واعلم أن الصلح بين الناس من أفضل الأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾، إلا نجوى من أمر بصدقة.

والنجوى: الكلام الخفر بين الرجل وصاحبه، فأكثر المناجاة بين الناس لا خير فيها إلا من أمر بصدقه أو معروف.

والمعروف: كل ما أمر به الشرع، يعني أمر بخير؛ ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ بين الرجل وصاحبه مفسدة، فيأتي شخص موفق فيصلح بينهما أو يزيل ما بين الرجل وصاحبه من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾، ثم إن الصلح يجوز فيه التورية:

أي نقول لشخص، إن فلان لم يتكلم فيك بشيء، إن فلانا يحب أهل الخير وما أشبه ذلك، أو نقول فلان يحبك[5].

من أهل الخير وتضمر في نفسك جملة "إن كنت من أهل الخير" لأجل أن تخرج من الكذب.

---

(1)– القرءان الكريم سورة النساء، الآية 114.

(2)– القرءان الكريم، سورة النساء، الآية 128.

(3)– القرءان الكريم، سورة الأنفال، الآية 1.

(4)– القرءان الكريم، سورة الحجرات، الآية 10.

(5)– محمد بن صالح العثيمني: مكارم الأخلاق، ب ط، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق صلاح الدين محمود السعيد، الجزائر،ص 39– 40.

وقال تعالى: ﴿وإن امرأة من بعدها خاضت من بعلها نشوزا أو إعراضنا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خيرا﴾[1] ،وهذه جملة عامة"والصلح خير" في جميع الأمور هذه هي إذن هي مكارم الأخلاق، وهي أخلاق الإسلام والمسلمين.[2]

وهكذا يتضح أن الإسلام يدعوا إلى الاعتقاد بأن الله مصدر كل شيء في الكون [3]، وكما خلق الله تعالى الإنسان، وضع له نظاما يتبعه وطريقا يسير عليه وشرح له أمورا من عدل وصدق، وأمره بإتباعها، وجعل السعادة في الدنيا والآخرة جزاء، ونهى عن الرذائل من ظلم وكذب، يقول تعالى: ﴿أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[4].

وإذا نظرنا إلى حسن الخلق من الناحية الاجتماعية نجد أن الدعوة إليه تعن الإسهام في تكوين مجتمع فاضل، وهذا المعنى من الأهداف الجوهرية في الإسلام، فإن الإسلام يهدف إلى تكوين أمة لا ينبغي أن تكتفر بحسن الخلق، وإنما يكون هدفها أن تكون مثلا ونموذجا أعلى بين الأمم، أو حسب تعبير القرآن الكريم قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للنّاس﴾[5].

هكذا تحدث القرآن عن الأخلاق، أما السنة النبوية فتبين: أن أخلاق رسول صلى الله عليه وسلم مستقاة من الدين نابعة من أخلاقه، فأصحاب الأخلاق الدينية هو هؤلاء الذين عرفوا المعاني في النصوص الدينية، وأدركوا المضمون الأخلاقي للرسالة المحمدية، وأعجبوا بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد زوده الله برحابه العقل وبراعة العلم حتى صرح كثير من العلماء بأنه لو لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم معجزة، لكانت أخلاقه وصفاته تكمن في الدلالة على بنوته فهو الإنسان الكامل والمثل الأعلى للخلق العظيم [6]، قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنك لعل خلق عظيم فستبر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلى بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتديين فلا تضع المكذبين ودوا لوتدهن فيدهنون ولا تطع كل خلاق مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك رنيم﴾[7].

---

(1)– القرءان الكريم ،سورة النساء، الآية 128.

(2)– محمد بن صالح العثيمني: مرجع سابق، ص41.

(3)– أحمد أمين، الأخلاق، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967،ص136.

(4)– القرءان الكريم، سورة النحل، الآية 90.

(5)– القرءان الكريم، سورة آل عمران، الآية 110.

(6)– سهير فضل الله أبو وافية، الفلسفة الإنسانية في الإسلام، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987، ص106.

(7)– القرءان الكريم، سورة القلم، الآية 1–13.

فهنا إبراز واضح للعنصر الأخلاقي من الجانبين: جانب الإيمان وجانب الكفر، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقال له: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وقد تكون هذه خصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الدرجة أما من حيث كونه صلى الله عليه وسلم على خلق، فذلك من خصوصيات الإيمان التي يبرزها السياق القرآني في مواجهة "أخلاقيات الكفر" الجانب الآخر.